بما اوجبهُ عليهِ فيها . وهب ان الحياة الدنيا تنقضي سريعاً فالانسان مندوب الى اطالتها وتكثير طيباتها وتقليل خبائثها وجعلها قرّة للعيون . والسعيد من ابتدأت جنتهُ في ارضهِ وانتفع الوجود بوجودهِ

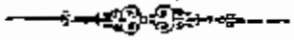

نوبار باشا

وُلد في مدينة ازمير وارسل منذ نعومة اظفارهِ الى اوربا فتعلَّم وتثقف في مدارس سويسرا وباريس وجاء مصر سنة ١٨٤٢ . وهو ارمني الجنس وقد ورث عن آبائهِ واجدادهِ الارمن اخص ما اتصف بهِ من النجابة وذكاء الفؤاد وسعة الادراك ويُعدّ النظر في الامور والصبر على مضض الدهر والدوران مع الزمان

وكان محمد علي باشا الكبير والياً على مصر يومئذٍ وبوغوص بك الارمني وزيراً لهُ وكان عظيم المكانة ونافذ الكلمة عندهُ وبين نوبار وبينهُ قرابة فلما جاء مصر امر محمد علي بتعيينهِ كاتم اسرار بوغوص بك واعجبهُ ذكاؤهُ ونجابتهُ وبراعتهُ في الفرنسوية والتركية التي كان يحسنها كأنها لغتهُ الارمنية فقرَّبهُ اليهِ . وكان محمد علي كثير الاعجاب بنابليون بونابرت شديد الميل الى سماع اخبارهِ والرغبة في التشبه بهِ والنسج على منوالهِ فجعل نوبار يقرأ لهُ تاريخ الثورة الفرنسوية والحكومة القنصلية والامبراطورية ويترجم ما يقرأهُ من الفرنسوية الى التركية

ويعلم القارئُ ان القراءة والترجمة على هذا النمط تنفعان في النفس وقعاً خصوصيًّا وتؤثران في السامع بعض تأثير التعليم . ولذا يظن ان نوبار كان من جملة العوامل التي حببت الى محمد علي الاقدام على العظائم واقتحام الصعاب وطموح البصر الى الفتوح تشبهاً ببونابرت فكانت عاقبة ذلك على مصر خيراً من اوجه وشرًّا من اخرى كما يشهد بهِ تاريخها اليوم

وسار نوبار مع ابرهيم باشا الى سورية والاستانة كاتماً لاسرارهِ . وخدم عباس باشا كما خدم ابرهيم باشا ومحمد علي قبلهُ فانعم عليهِ عباس باشا بالرتبة الثانية مع لقب بك وارسلهُ الى لندن في مهمة سنة ١٨٥٠ ثم عينهُ وزيراً مفوضاً في فينا سنة ١٨٥٣

ولما تولى سعيد باشا استحضرهُ وقرَّبهُ اليهِ وعيَّنهُ مديراً للسكك الحديدية سنة ١٨٥٤ فانشأ سكة الحديد التي أُبطلت الآن بين مصر القاهرة والسويس ليسهل نقل البضائع الصادرة الى الهند والواردة منها . ثم انقلب رضى سعيد باشا عنهُ الى سخط عليهِ فاعتزل المخططات السياسية حتى تولى اسمعيل باشا سنة ١٨٦٣ . فعاد الى مناصب الحكومة وارتقى فيها

وعظم شأنهُ حتى بلغ ذروة المجد في عهدهِ وبعُد صيتهُ واتسعت شهرتهُ بعد ذلك ولم يزد عظمة ونفوذاً وسطوة عما كان عليهِ في ايام اسمعيل باشا فانهُ لم يكد يتم حينئذٍ امرٌ جلل من الامور التي ادهشت عظمتها الامم الاَّ كان لنوبار يدٌ فيهِ حتى قال بعض المؤرخين قولاً ربما لم يخلُ من الغلو وهو انهُ اتم كل مشروع حميد جادت بهِ قريحة اسمعيل باشا او قريحتهُ وانهُ كان الخصم مشيريهِ فحقت لهُ مشاركتهُ في جميع ما يستحق المدح او الذم عليهِ

وابتدأَ خدمتهُ لاسمعيل باشا بمهمة ارسلهُ بها الى الاستانة لتمهيد العقبات السياسية التي كانت تحول دون اتمام ترعة السويس. فاظهر حينئذٍ ما اشتهر عنهُ من سعة الحيلة في الاخذ والعطاء وحسن المذاكرة حتى حل المشاكل المعقدة وعاد فائزاً بالمراد وكوفئ بالباشوية على خدمتهِ. ثم انفذهُ اسمعيل باشا الى باريس لحل المشاكل التي وقعت بينهُ وبين شركة ترعة السويس وخدم اهل مصر خدمة تحمد لانهُ باغاهم عن حفر الترعة للفرنسويين بالسخرة وانتدهم من مقابلة كان سعيد باشا قد حملهم اياها اكراماً لدي لسبس فقلَّدهُ اسمعيل باشا اثر ذلك نظارة التجارة في مصر وادارة السكة الحديد. وفشا الوباء الاصفر سنة ١٨٦٥ وفتك باهلها فتكاً ذريعاً حتى فرَّ اسمعيل باشا من وجههِ واصيب نوبار باشا بهِ ثم شفي منهُ. واعتقد بعد شفائهِ ان حسن الغذاء لحسن دواء لانتياب ذلك الوباء فامر بتحسين غذاء المستخدمين في السكة الحديد وكان يتعهد طعامهم بنفسهِ ولم يمت احد منهم مع كثرة تنقلهم ومخالطتهم. ولا ريب ان السبب في سلامتهم العناية بطهارة مأكلهم ومشربهم واطعامهم الاطعمة السهلة الهضم المغذية للجسم

وعظمت مكانتهُ عند اسمعيل باشا فعينهُ ناظراً للخارجية وكان يدهُ اليمنى في حصولهِ على لقب الخديوية وحصر الوراثة في اعقابهِ دون سواها ومنح مصر استقلالها الداخلي مع دفعها الخراج المعلوم فكوفئ برتبة الوزارة على ذلك

واعظم عمل عملهُ في عهد اسمعيل باشا وكان يشير اليهِ طول ايامهِ بالافتخار انشاء المحاكم المختلطة في مصر. فقد سعى في ذلك من سنة ١٨٦٧ الى سنة ١٨٧٤ وهو يسافر ويذاكر ويشرح ويقنع حتى قضى الوطر وفاز بالمطلوب. وقد قال لنا ذات يوم انهُ كان يخبر اسمعيل باشا صريحاً ايام مذاكرتهِ بان المحاكم المختلطة تكون اعظم مسيطر عليهِ وانها تمثل يديهِ وتتركهُ مقيداً بقيود القانون ولكنهُ كان يبين ايضاً اوجه افضليتها على المحاكم القنصلية للخديوية وللامة المصرية وثبت لهُ انها ما دامت موجودة في بلادهِ يبقى استقلال مصر مضموناً لها. فيرجع اسمعيل باشا منافعها على مضارها ويرغب فيها. قال وكنَّا ذات يوم مجتمعين فطيَّر البرق الينا

نبأ المصادقة على المحاكم المختلطة فحمدت الله تعالى من رفاتي على خلع نير الاستبداد عن مصر ولم اخف في ذلك لومة لائم ولا وشاية لاني لم اكن قد اخفيت آرائي عن مولاي الخديوي قبلاً

وكنا يوماً نتحدث عن الاصلاح المطلوب في السلطنة العثمانية وعن لائحة الاصلاحات الارمنية التي وضعها السفراء فاخبرنا ان اللورد دربي سأله رأيه في الاصلاح بعيد جلوس مولانا السلطان عبد الحميد على سرير السلطنة العثمانية. فقال له ان الدولة العثمانية مشروطية القوانين واللوائح والنظامات فلا تحتاج الى اصلاح من هذا القبيل وانما تحتاج الى مأمورين مستقيمين فالاصلاح يكون بجعل المامورين مسؤولين حقيقة عما يفعلون وتحاكمتهم على ما يجنون وارى ان اصلح الطرق لذلك واقلها تعرضاً للسلطنة في امورها من الخارج هي ان تعطي الرعية حق اقامة الدعاوي على الموظفين واستيفاء حقوقها منهم فينشأ مجلس يختار قضاته من الاوربيين المشهورين بالاستقامة وترفع اليه الشكاوي والدعاوي على الولاة وغيرهم من المأمورين بحيث يرهبون القانون ويعلمون انهم يعاقبون على ما يفعلون فيستقيم سلوكهم ولا يخالفون واجباتهم ولا يتعدونها. وكان عند حديثنا معه لا يزال يرى ان هذا خير اصلاح تفتقر السلطنة العثمانية اليه

وربما كان لرأيه هذا تأثير في تأليف وزارته الاولى سنة ١٨٧٨ فانه كان قد اعتزل الوظائف زمناً قبل ذلك لخلاف وقع بينه وبين اسمعيل باشا فلما طلب منه اسمعيل باشا تأليف الوزارة برئاسته ادخل فيها السر رفرس ولسن الانكليزي والموسيو دوبلنيير الفرنسوي ولكنه مع اقتداره على تدبير المهام لم يستطع الثبوت في منصبه طويلاً تلك الايام لان المالية المصرية كانت قد بلغت اسوأ حال من الاختلال وكان كغيره من الوزراء الذين يعاونون اسمعيل باشا على عظائم الافعال ولكن لا يحسبون حساب الاموال ففي شهر فبراير سنة ١٨٧٩ حدثت حادثة الضباط المشهورة فالقى اسمعيل باشا تبعتها عليه واسقطه مخذولاً مرذولاً. وادرك نوبار باشا بعد نظره في الامور ان اسمعيل باشا امسى على شفا جرف هار وان اوربا ترومه خلعه فانقلب عليه اخذاً بثاره منه وكانت له اليد الطولى في قلب حكمه. وبقي معتزلاً الوظائف الى ما بعد الاحتلال وسقوط الوزارة الشريفية بسبب المسألة السودانية في شهر يناير ١٨٨٤

فانه لما اصرت انكلترا على ترك السودان بعد استفحال ثورة المهدي ابى المرحوم شريف باشا مطاوعتها على ذلك متمسكاً بقوله المشهور انا اذا تركنا السودان فالسودان لا يتركنا فسقطت وزارته وسئل نوبار باشا ان يؤلف وزارة جديدة برئاسته فقبل بعد اللتيا والتي وألف وزارته

الثانية في ٨ يناير سنة ١٨٨٤ وكانت مصر اذ ذاك في أبان العسر والشدة سياستها مضطربة واحوالها مختلة معتلة وحكومتها ضعيفة وقاقتها شديدة ومالیتها في اسوإ حال . فجاءت وزارة نوبار كذلك توح وسط الزوابع والعواصف والانواء تتقاذفها لجج السياسة الخارجية تارة والمنازعات الداخلية طوراً ولو لم يكن عقل نوبار يدير دفتها لانقلبت في بضعة اشهر ولم تثبت بضعة اعوام فانها لما استلمت زمام الاحكام كان المستر كليفورد لويد مديراً عاماً للاصلاح فسرَّ بمجيء نوبار باشا مسروراً عظيماً وكانا في بادىء الامر على تمام الاتفاق والوئام حتى انهُ طاوع نوبار باشا على رأيهِ وعيَّن وكيلاً للداخلية بعد ان كان مديراً عاماً للاصلاح . وكان مرصوفاً بالشدة والعناد فلم يمضِ الاَّ القليل حتى وقع الخلاف بينهُ وبين نوبار باشا وكان ناظراً للداخلية وبلغ الخلاف غايتهُ بينهما على مسألة البوليس فكليفورد لويد كان يطلب ان يكون البوليس كلهُ تابعاً لمنتش عام مقرهُ في العاصمة ونوبار باشا يطلب ان يكون البوليس تحت امر المديرين والمحافظين ومأموري المراكز كما هو عليهِ الآن . وبينما كانا يتنازعان ويتصارعان وقع النزاع بين كليفورد لويد وبين السر بنسن مكسويل في الحقانية فلما رأى نوبار ذلك من كليفورد لويد وعيل صبرهُ عليهِ تهدد اللورد كرومر (واسمهُ يومئذٍ السر افلن بارنج) بالاستعفاء من الوزارة اذا لم يعزل كليفورد لويد فعزلهُ في شهر ابريل من سنة ١٨٨٤ أي بعد قيام الوزارة بنحو ثلثة اشهر

وذكر السر الفرد ملنر في كتابهِ عن مصر اشاعة شاعت في ذلك الحين ولا يزال كثيرون يعتقدون صحتها الى هذا اليوم . وهي ان نوبار باشا اضمر الشر لكليفورد لويد منذ تربع في دست الوزارة فلاطفهُ وتودد اليهِ حتى استمالهُ بحسن حيلتهِ واقنعهُ بقبول وكالة الداخلية عوضاً عن ادارة الاصلاح على انهُ يبقي بذلك مقيداً عوضاً عن ان يكون مطلقاً من كل قيد فلما استلم مقودهُ قذفهُ عن حالق فدق عنقهُ وتخلص منهُ . وذكرت رواية ملنر هذه في حديث جرى لنا مع المرحوم نوبار باشا فتأفف وتضجر وشدد من عبارات العتب على السر الفرد ملنر وتبرأ منها بمزيد الأنفة قائلاً ان عزل كليفورد لويد لم يخطر على بالي الاَّ لما استمر الشغل معهُ وعيل صبري عليهِ وما اقنعتهُ بقبول وكالة الداخلية الاَّ محافظةً على نظام الوظائف وليستقيم امر الاشغال بين الآمر والمأمور فلا تبقى بين الوظائف وظيفة شاذة عن القياس لا نعلم اين مكانها ولا حدود سلطانها . فالذين يتهمونني باضمار الشر لكليفورد لويد وتعمد اسقاطهِ يظلموني ويخالفون الحقيقة

وكان نوبار باشا من المحبين للاصلاح بلا ريب ولكنهُ كان يبغي ان يتم الاصلاح على

رأيه لا على رأي غيره من المصلحين فلذلك اشتدّ الجذب والدفع بينهُ وبين السر ادجر فسمت المستشار المالي حينئذٍ وبينهُ وبين السر كولن سكوت منكريف وكيل الاشغال العمومية. أما بينهُ وبين المستشار المالي فلأن المستشار كان يرى وجوب الاقتصاد والتقتير والضن على الموظفين حتى لا يزيد خرج مصر على دخلها ولا يتعرّض الاجانب لما في امورها ونوبار باشا يرى غير ذلك ويأبى تقتيرًا يبعد عنهُ القلوب. واما بينهُ وبين وكيل الاشغال فلأنهُ كان يطلب تقييد منتشي الري والوكيل يطلب عدم تقييدهم في ما يتعلق بمصلحة الري. فنأتي عن وقوع الخلاف بين المستشار المالي وبينهُ ان وكيل انكلترا اخذ يناصر المستشار المالي فتكدرت العلاقات بينهُ وبين نوبار باشا ولما سافر نوبار باشا الى اوربا سنة ١٨٨٧ سعى لدى الحكومة الانكليزية في عزل وكيلها والمستشار المالي معًا فلم يفلح في سعيه

واشتدّ الخلاف بينهُ وبين وكيل انكلترا في تلك الايام وكان يشكو من ان انكلترا تكلف رجال مصر ما لا طاقة لهم عليه فتفرض عليهم قبول مشورتها فرضًا ثم اذا قبلوها وجروا عليها وقامت الدول الاخرى لمعارضتهم تخلت عنهم ولم تؤيدهم بل تركتهم عرضة للذل والهوان كما فعلت به لما طاوعوها والقى بدهُ بمشورتها على بعض الايرادات المخصصة للدين المصري وكما فعلت به في مسألة البسفور اجبيان. ولذلك كان يكرهُ الاحتلال الاداري ويروم التفلص منهُ ولكنهُ لا يأبى الاحتلال العسكري ولا يعارض فيه

وتفصيل مسألة البسفور اجبيان انهُ كان جريدة يومية تشحن اعمدتها بالاكاذيب والمطاعن على رجال الاحتلال والحكومة عمومًا. وكان نوبار باشا يحسب اطلاق العنان لها ولما شاكلها من الجرائد مضرًّا بمصلحة البلاد العمومية ولاسيما حينما كانت الافكار مضطربة بسبب ثورة السودان ولذلك اصدر امرًا في التاسع والعشرين من فبراير سنة ١٨٨٤ بالغاء البسفور اجبيان لكن محرريه لم يعبأوا بذلك بل زادوا جرأةً وطعنًا. وفي اوائل ابريل سنة ١٨٨٥ نشر منشورًا للمهدي يدعو اهالي القطر المصري الى الثورة والعصيان واتبعهُ في اليوم التالي بترجمته العربية فطفحت كاس الصبر عليه واخبر نوبار باشا قنصل فرنسا في القاهرة انهُ امر رجال البوليس باقفال المطبعة التي يطبع فيها وطلب منهُ ان يرسل مندوبًا من قبله حسب العوائد المتبعة ليحضر تنفيذ الامر. فرفع القنصل المسألة الى القنصل الجنرال وهذا اعترض على الامر حالاً وقال انهُ يرسل واحدًا من قبله ليتم تنفيذهُ او يُنفَّذ بالقوة. لكن حكمدار البوليس (وكان فنك باشا) ذهب الى المطبعة في الثامن من ابريل واقفلها بحضور مندوب القنصل الجنرال. فقامت قيامة الفرنسويين في مصر وفرنسا وطلب وزير الخارجية في الحكومة الفرنسوية

ترضية عن لحق الفرنسويين من الاهانة بدخول دار واحد منهم عنوة . وثبت انهُ مصيب في مطلبه على حسب الامتيازات الدولية لانهُ لا يجوز لرجال الحكومة ان يدخلوا دار اجنبي عنوة الاَّ برضى تصلح فاضطرَّ نوبار باشا ان يفتح المطبعة ثانية ويعتذر للقنصل الجنرال بزيارة رسمية . ويقال ان انكلترا لم ترضَ بذلك الاَّ بعد ان وعدتها الحكومة الفرنسوية بالمصادقة على قانون يسن للمطبوعات ويجعلها تحت سلطة الحكومة المصرية ولم يجز هذا الوعد حتى الآن . وبديهي ان نوبار باشا استاء لان الحكومة الانكليزية لم تشد ازرهُ في هذه المسألة

وما زال الخلاف يزداد بينهُ وبين المحتلين حتى توفي الجنرال فلانجين باكر باشا سنة ١٨٨٨ فاراد وضع البوليس تحت امر المديرين وأبى السر افلن بارنج الاَّ ان تكون الرئاسة على البوليس لانكليزي فاصبح خصمًا لنوبار باشا بعد ما كان سندًا لهُ يؤيد وزارتهُ ويذب عنها

ولما درى الجمهور بذلك عظمت الجرأة عند انكارهين لوزارتهِ فصاروا يجاهرون بما كانوا يضمرونهُ قبلاً ويتهمونهُ باحتكار الحاكم المقربين اليهِ واقفال ابوابها في وجوه الوطنيين المخلصين . ولكن المغفور لهُ توفيق باشا مال اليهِ حينئذٍ ليساعدهُ على ما كان يحتاجهُ من ايهِ فأدخلهُ نوبار باشا في الخلاف الذي بينهُ وبين وكيل انكلترا وارسل رسولاً معلومًا الى بلاد الانكليز يشكو الى حكومتها ان السر افلن بارنج ترك الخديوي صفرًا في بلادهِ فقابلت الحكومة الانكليزية الرسول بالاعراض واوعزت الى توفيق باشا انهُ اذا كان يروم حمايتها في الخارج فلا يغفل مشورتها في الداخل . فسخط على نوبار باشا لانهُ انقادَ في تلك الورطة وصبر عليهِ حتى عرضت مسألة جزئية فاسقط وزارتهُ عليها في يونيو ١٨٨٨ . ومع ان ايام تلك الوزارة كانت مفعمة بالمشاكل والقلاقل فقد خدمت البلاد خدمًا كلية اشهرها الغاء معظم العونة

وقد كثر ترددنا على المترجم بهِ بعد سقوط وزارتهِ الثانية فكانت اقوالهُ وامياله اذ ذاك تشبه اقوالهُ بمبارك وامياله بعد استعفائهِ من منصبهِ فلا يجني محادثهُ منها شيئًا من الفوائد التي يجنيها من احاديثهِ الاخرى . فانا كما لا نطمحُ في مسألة من مسائل مصر التاريخية او الادارية او القضائية او الزراعية او التجارية او الاجتماعية الاَّ وجدناهُ بحرًا زاخرًا تحير معانيهِ الالباب وتشفي عبارتهُ الغليل الاَّ حيث يرد ذكر بعض خصومهِ السياسيين من الاجانب والوطنيين او حيث يقابل افعالهُ بافعال غيرهِ فحينئذٍ يبدو عليهِ ضعف الفطرة البشرية ويردُّ مصدقهُ لو عاد الى معانيهِ السامية ونوادرهِ الطلية

وكان لا يسرهُ ذكر شيء بعد مضي الاعوام على سقوط وزارتهِ الثانية مثل ذكر عودتهِ الى الوزارة فان اسرَّتهُ كانت تبرق حينئذٍ وثغرهُ يبتسم ولو اعتذر بان زمان ذلك قد فات

وشيخوخته لا تسمح به. ولما القيت اليه مقاليد الوزارة سنة ١٨٩١ تناولها وقال لنا في حديث حينئذٍ ان غايته من وزارته تسكين الاضطراب وابطال القلاقل ومصالحة الحكومة والمحتلين. وقد اثبت قوله بالفعل وقال بغيته بوضع البوليس تحت سلطة المديرين والغاء تفتيش عموم البوليس على شرط استبداله بمستشار انكليزي في الداخلية. وخذل في وزارته الاخيرة بعضاً من الذين كانوا اعظم انصاره واشد المتعلقين به. ثم وقع وكسر رجله وبقي بعد ذلك حتى هدأت الاحوال وصفا جوّ السياسة المصرية فاستعفى من تلقاء نفسه في ١١ نوفمبر سنة ١٨٩٥

ولما اشتد عليه داؤه المزمن واصابه خراج في الامعاء قصد باريس واقام فيها فاستأصل الجراحون الخراج في العام الماضي وانقطعت الآمال من شفائه من دائه حتى توفاه الله الى رحمته يوم الجمعة في الثالث عشر من يناير بعد ما خدم مصر معظم العمر وكان يعرف مواضع الداء فلا يجاري ذوي الاهواء ولا يرتكب معهم الخطاء. وقد اصابت الحكومة المصرية في اقرارها على دفنه على نفقتها اظهاراً لاكرامها له وقدرها خدمته قدرها

وكان فوق الربعة ممتلئ البدن احمر الوجنتين ولا سيما اذا احتدّ في الحديث كبير العينين والشاربين لا نعرفه الاّ وهو شائب الشعر. اذا قدّمت عليه تقرّس فيك اولاً ليعلم هل انت من مستخدمي الحكومة او من غيرهم فان كنت من غيرهم هشّ اليك ورحب بك واختصر الحديث اولاً حتى اذا خضته ورأى الموضوع مما يلذّ له البحث فيه اندفق كالسيل العرم بعبارة منسجمة والفاظ فصيحة ولا سيما اذا كان الكلام بالفرنسوية. وهو يحسن الانكليزية ايضاً ولكن ليس كالفرنسوية واما العربية فكان يتكلمها كما يتكلمها الاتراك. ويكثر حينئذٍ من تدخين التبغ وهو كثير المطالعة قلما زرناه مرةً الاّ ورأينا كتاباً في يده يطالع فيه. وهو قوي الذاكرة ايضاً فيستشهد بكبار المؤلفين ولا سيما اذا كان مجالسه عالماً بهم وينتظر من مجالسه الموافقة التامة على آرائه فاذا خالفه فيها اخذت منه الحيّة كل مأخذ لكنه يملك طبعه حالاً ويعتذر عما فرط منه

وكان كريماً مبذالاً يروى عنه انه كثيراً ما كان يتصدّق بكل ما في جيبه من النقود على من يطلب منه صدقةً ويقال ان عيالاً كثيرة تعيش الآن من فضله. ولم يقتصر كرمه على البذل من ماله بل كان كريماً بمال الحكومة ايضاً فلا يقترّ على الموظفين ولا يضن بالمال ما دام له اليه سبيل. واخص ما يوصف به انه كان ينظر الى الكليات ويترك الجزئيات والتفاصيل شأن اكثر العظام. وسيبقى اسمه مقروناً باسماء كبار الوزراء الذين قاموا في المشارق والمغارب

❖ قربهُ من الملك ❖

وقبل ان تطبع هذه السطور جاءتنا جريدة التيمس الصادرة في السادس عشر من يناير وفيها شيءٌ من ترجمتهِ للسيو ده بلوينز مكاتب التيمس الباريسي وفي الترجمة خبر لم نسمعهُ قبل الآن وهو ان نوبار باشا كاد يومًا ما يصير ملكًا. قال المكاتب وزارني نوبار باشا لما كانت الدولة تنظر في تعيين امير للبلغار فقلتُ لهُ على مَ لا تترشح لهذا المنصب فانني قد سمعت نورد يكسفيلد يتكلم مع البرنس غورتشاكوف والكونت شوفالوف ويمدحك مدحًا فائقًا وقد وافقاهُ على ذلك. والكونت اندراسي يحتفل بك كثيرًا والسيو ديفور والسيو ودنتون يحسبانك من اعاظم رجال السياسة. اما رأي المانيا فيك فسأعرفهُ غدًا فاذا كانت توافق على ذلك لا يبقى علينا الاَّ تركيا ولكن رجال الاستانة لا يحبونك فيك لانك نجحت عندهم في المأموريات السابقة التي مضيت بها الى الاستانة. فلما قلت لهُ ذلك اخذ يعتذر اولاً عن قبول هذا المنصب واخيرًا قبل ان ابحث لهُ عما اعلمهُ من امره. وفي تلك الليلة قابلت البرنس هوهنلوهي في التياترو وتذاكرتُ معهُ في هذا الموضوع فسرَّ برأيي وكلَّم السيو ديفور والسيو ودنتون والورد ليونس في اليوم التالي ثم ارسل واخبر البرنس بمباركة فوافقوا كلهم على تعيينهِ

ولكن كانت لنوبار باشا خصوم اقوياء في الاستانة فاحبطوا مساعيهُ كلها لسوء الحظ. وكنت اقابلهُ مرارًا كثيرة في تلك الاثناء وامرُّ جدًّا بما اسمعهُ من آرائهِ وما يطلعني عليهِ مما كان قاصدًا اجراءهُ في بلاد البلغار. وعتدي انهُ لو نجحنا في سعينا لعاد الى شبه جزيرة البلقان مجدها السابق ولامتنع ما حدث في بلاد الارمن بعد ذلك ولمنعت ايضًا الحرب بين الدولة العثمانية واليونان. وقد اسقط في يدهِ لما عدنا بالفشل ولكن فلسفتهُ وديانتهُ وتسليمهُ للقضاء والقدر منعتهُ من الاسف على ما فات "

ثم قال مكاتب التيمس ان نوبار باشا كان يثق بمقدرة الارمن السياسية ولكنهُ لم يكن يثق بان المصريين يستطيعون ان يتولوا سياسة بلادهم. اما عن الانكليز فكان يقول " ما دام عندهم مثل سلسبري وبلفور وتشمبرلن في انكلترا ومثل كرومر وكتشنر وورود في مصر فهم والناس كلهم يخيب املهم ان لم ينشئوا امبراطورية جديدة

وانشأت جريدة التيمس مقالة مسهبة في وصفهِ وتأبينهِ وكذلك جريدة التان الفرنسوية وقالت جريدة التان في كلامها عنهُ انهُ من اعاظم رجال السياسة في هذا العصر وقد دعي سابقًا كافور الشرق ولكنهُ آثر ان يلقب بطل العدل في مصر